الأهرام

١٩٩٤/٩/١٤

أم كلثوم والمصريون

بقلم :

أحمد عبدالمعطى حجازى

يبدو اننى هيجت جرحا قديما كنا نظن انه نسى بما جد بعده من جراح، واندمل بما تطاول عليه من ليال وايام، وذلك حين تحدثت عن حاجتنا للفرح، وتذكرت ام كلثوم، واستنجدت فى هذه الكابة الضاربة ببعض الحانها الرائعة، فدلنى الصدى على ان الحاجة عميقة ملحة، وان القليل الذى صرحت به اثار الكثير عند قراء يتألمون ولايصرحون، لانهم حاولوا من قبل فلم تصل كلماتهم، او انها وصلت فلم تلق استجابة.

ولقد كنت اشكك فى حقيقة شعورى بان ام كلثوم غائبة او محاصرة، إذ لا استطيع الزعم انى اتابع كل ماتقدمه الاذاعات المصرية، لكنى وجدت ان انطباع القراء هو انطباعى، وفيهم من يدفعه الاعجاب ويتوافر له الوقت ليلتقط صوت ام كلثوم حيث كان، ويتابعه فى فطانه، فى الوقت الذى انتظرت فيه طويلا ان يتكرم علينا مسئول من المسئولين فى الاذاعة يصحح انطباعاتنا ان كانت فى حاجة الى تصحيح، او يوضح الاسباب الداعية لاختصار الوقت المخصص لام كلثوم اذا امكن ان توجد مثل هذه الاسباب، فلم يصلنى بعد شهرين او ثلاثة توضيح او تصريح. وليس لهذا الصمت إلا معنى واحد عندى، هو ان ام كلثوم غائبة بالفعل وان صوتها محاصر.

لكن حديثى عن ام كلثوم كان فرصة اتاحت لى ان المس هذه المودة العميقة التى جمعت بين هذا الصوت العظيم وبين نفوس المصريين على اختلاف طبقاتهم، وذلك من خلال الرسائل الشفاهية والرسائل المكتوبة التى وصلتنى بالعشرات .

لم يتسن لفنان مصرى فى اى عصر من العصور ان توغل هذا التوغل فى روح شعبه، واحتل هذا المحل الرفيع فى حياته الروحية والعاطفية، ونال مانالته ام كلثوم من اعتراف لم يتخلف عنه احد، وإجماع يحتاج إليه الآن فى رد القطيع الممزق ليلتئم من جديد تحت صوتها المرفرف كالراية، وليرفع من جديد ماغنت له ام كلثوم من قيم نبيلة وعواطف مشرقة.

ولقد كنت اقرأ بعض هذه الرسائل فلا اكتشف حب الناس لام كلثوم فحسب، بل اكتشف ايضا فى اصحاب هذه الرسائل مايسترونه عفة وحياء من ثقافة رفيعة، ولغة عالية وتذوق ناضج صحيح.

إن الطيور على اشكالها تقع. ويكفى ان تتحدث عن ام كلثوم او غيرها من الأسماء المشرقة فى حياتنا القومية ليفصح الناس عن فضائلهم ومواهبهم التى نحتفل بها احتفالنا بام كلثوم.

ولهذه الاعتبارات كلها انشر هذه المختارات من رسائل القراء حول ماكتبته عن ام كلثوم.

○○○

السيد الاستاذ

سعدت أيما سعادة بمطالعة مقالك عن رائعة ام كلثوم «رق الحبيب» وكان إعجابى بكلماتك مضاعفا فبداية وجدت فيها اديبا رفيعا يجمع بين سلاسة الاسلوب وعمق المضمون وهى من بعد ذلك قد اسلمتنى كشافا سحريا لإعادة إكتشاف هذه الغنائية .. فإذا بها قد اضفت مذاقا جديدا شجيا على فن .. ظالما سمعناه واستمتعنا به على مدى نصف قرن.

ولقد حرك ماسطرت كوامن الشجن فى نفسى .. ذلك ان الأستاذ الدكتور عبدالقادر حاتم المشرف على المجالس القومية المتخصصة كان قد شكل لجنة ضمت كبار اساتذة الموسيقى الأكاديميين لدراسة تطور فنون الموسيقى فى المرحلة القادمة واخص منهم الدكاترة بثينة فريد، إيزيس فتح الله، ليندا فتح الله، إكرام محمد مطر، إلى جانب الأستاذين صلاح طاهر وعبدالفتاح البارودى، وكنت مقررا للجنة، ورغم اننى درست العلوم الموسيقية بمعهد الموسيقى العربية لسنوات عديدة، وعزفت على آلتى العود والكمان إلا اننى كنت حريصا على معالجة الموضوع بصفتى مستمعا لموسيقانا ليقينى بان وجهة نظر المتلقى لهذه الفنون وهو من وجهت إليه اصلا اهم وابقى من رأى صانعيها وصائغيها. عكفت اللجنة على عملها ردحا من الزمن قارب السنة .. وكدحت فى مهمتها كدحا لشدان وجه الحق .. إلى ان شكلت عقيدتها فى توصيات قمت بصياغتها فى تقرير عرض على شعبة الفنون خلال شهر ديسمبر ١٩٩٣ حيث اجازته جملة وتفصيلا.

وقد عرضت اللجنة فى ثنايا تقريرها لاحوال الموسيقى العربية التقليدية والموسيقى المصرية المعاصرة والتراث الغنائى والمسرح الغنائى وكذا المناخ الفنى الآنى كالتعليم العام والتعليم الموسيقى التخصصى والإعلام من إذاعات مرئية ومسموعة وصحافة وثقافة جماهيرية.

ولعل من ابرز توصيات اللجنة فى مجال الإعلام إعادة تخطيط خريطة الإذاعة والتليفزيون وتقديم فننا الأصيل تراثا كان او معاصرا على مدى ساعات الإرسال سيما اوقات ذروة الاستماع والمشاهدة مقترنة بالشرح والتحليل - كمثل ماورد بمقالك عن رق الحبيب - بدلا من عرض هذا الفن داخل برامج اشبه بالجزر المعزولة - كبرامج الحان زمان والموسيقى العربية - وقصر تقديم مايوصف بالاغانى الشبابية على برامج محددة محدودة المدة مع حظر الدعاية والاعلان عن هذه الأعمال، ومنع اقحامها على برامج المنوعات.

ولقد ارتأت اللجنة - كضمام امان لسلامة برامج الاذاعة والتليفزيون وتشكيل لجان للتوجيه والاشراف الموسيقى تنوط بها انتقاء المصنفات الفنية لهذين الجهازين الخطيرين وكذا لمواد شرائط الكاسيت والفيدو التجارية - تشكيلها من اخصائيين تربويين ذوى المام واسع بعلمى النفس والاجتماع الى جانب خبراء فى الاداء الغنائى والهندسة الصوتية دون اغفال تمثيل المتلقين لهذه الاعمال من خلال شخصيات عامة مشهود لها بالذوق الرفيع، على ان تشكل لجنة خاصة لانتاج العاملين بالراديو والتليفزيون من اعضاء ليست لهم روابط او مصالح بهذين الجهازين.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام
١٩٩٤/٩/١٤

واود هنا ان انوه الى ان اللجنة لم تشا ا ف عند مرحلة التحقيق والتدقيق بل تجاوزتها الى مرحلة التطبيق، وبذرت في توصية لها حال تشكيل لجنة التوجيه والاشراف الموسيقى سالفة البيان ان تساهم بمجهودها من خلال هذه اللجنة على ان تهب المكافات المستحقة لها الى صندوق دعم اصدار شرائط الكاسيت والفيديو القائم على انتاج الاعمال الفنية الرفيعة وطرحها للبيع باسعار رمزية.

بيد انه يبدو ان توصيات لجنتنا بدت كصرخة في واد، ولاعجب في هذا فان ماينفع الناس في بلادنا يضل طريقه فيذهب جفاء في نهاية الامر تحت الارض!! وبعد.. سالتك ايها الاستاذ القدير ان تواصل مقالاتك التي تتفرد بها بحق في مجال التذوق الفني لتظل في وجداننا شمعة مضيئة.. فهذا افضل من ان نلعن الظلام.

المستشار الدكتور علي فاضل حسن نائب رئيس محكمة النقض وعضو جمعيتي احياء التراث الموسيقي واصدقاء سيد درويش

●●●

تحية طيبه وبعد

تتبعت بشغف حديثكم الشيق عن «رق الحبيب» اذ عبرتم به عما في نفسي، فانا مثلكم تفتح وعيي، في مجال تذوق الموسيقى والغناء العربي اولا على عبدالوهاب، ثم وصل الوعي بعد ذلك الى ام كلثوم ولحنيها.

غير انني كنت اتمنى ان تزيدوا الامر تفصيلا وتاصيلا..

كان تتحدثوا مثلا عن سر النجاح الجماهيري للتجديد الجذري والجريء الذي قدمه عبدالوهاب وقدمته ام كلثوم.. نعم ام كلثوم..

ولنرجع الى ما قاله عنها في العشرينات ابطال «بين القصرين» وماقاله المؤرخون الموسيقيون: لقد كان ثمة عند ظهورها «جبل» راسخ اسمه منيرة المهدية، صوت جبار وتمكن من التراث، وقد بدات ام كلثوم بالسير على نفس الدرب (مع الشيخ ابوالعلا محمد) الى ان وجدت في التجديد نقطة الانطلاق او الاقتحام BREAK THROUGH حيث قدمت مع القصبجي «ان كنت اسامح» من مقام الماجور تلك المونولوج الهائل الذي بيع منه في ذلك الحين اكثر من مليون اسطوانة والذي لايزال حتى اليوم يهز مشاعر من يسمعه لما فيه من خصائص متقدمة في اللحن والغناء، واتبعته ببعض الاغاني التي تسير في نفس الاتجاه، الا ان ام كلثوم اغراها ما كانت تتمتع به من قدرات فنية وصوتية، فلم تشا ان تترك القديم (داود حسني - زكريا احمد) الى جانب تقديم الجديد (القصبجي - السنباطي) فكان وعينا بام كلثوم يشجعه جديدها ويصعبه قديمها الى ان يتم للانسان استيعاب ما في هذا القديم من عمق فني ، هذا كله بينما كان عبدالوهاب يحلق في سماء التجديد لايلوي على شيء.

اقول كنت اتمنى ان تحدثنا عن سر حماسة الجمهور المصري للتجديد في مجال الموسيقى والغناء .. هل لان ذلك كان جزءا من الجو الثقافي العام الذي كان سائدا في العهد الليبرالي (بين الثورتين) في مرحلته الاولى حين سادت الرغبة العارمة في التحرر من القيود والتقاليد في جميع المجالات من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية.. إلخ.

ام لان تقبل الجديد والحماسة له والتطلع للامام سمات اصيلة - رغم كل شيء - في الشعب المصري، الذي تخلص من الحجاب في العشرينات والثلاثينات، وبعده من الطربوش، في بساطه ويسر، بينما نصبت المشانق في تركيا لتحقيق ذلك؟

وبعد.. فشكراً جزيلاً على فتحك لهذا الموضوع الهام والشيق معاً، وإلى المزيد والمزيد من قلمك البارع وتحليلك العميق.

المهندس مصطفى كمال مصر الجديدة

●●●

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، فإن مقالتك عن «رق الحبيب» قد امتعتنا، ونزلت برداً وسلاماً على قلوبنا - نحن محبي ام كلثوم - الظامئة لسماعها ابداً، والمتلهفين على القراءة عنها دائماً.. بعد ذلك الصمت الطويل عنها من كل الجهات.. حتى من الإذاعة التي رفعت من شانها، وجعلت الملايين من المستمعين في كل اقطار الأرض - وليس العربية وحدها - يديرون المؤشرات إليها، ويستمعون إلى «هنا القاهرة - في الخميس الأول من كل شهر.. هذه الإذاعة اخذت أخيراً تتجاهل صوت ام كلثوم ولاتعطيه المساحة الزمنية اللائقة بها.. ومن العجب انك ترى إذاعة إسرائيل تخصص ساعتين كل يوم - إلا قليلاً - على فترتين نهاريتين، بعد موجز اخبار الحادية عشرة والنصف صباحاً، والسادسة والنصف مساء، عدا السهرات لصوت ام كلثوم، فاين إذاعات القاهرة صاحبة ام كلثوم!.. لقد منحت جل وقتها للمتبهرجات العاطلات من الموهبة البارعات في مسائل العلاقات العامة.. ولنا الله..

وكان لابد ان ينبعث صوت مصري اصيل يثير البحيرة الراكدة، وينبه إلى الكنوز المخبوءة في اغنيات عظيمتنا الراحلة.. فهل نلتمس منك ايها الفنان الكبير، ابن مصر الأصيل، ان تتصل بوزير الإعلام وتطلب منه ان يرفع الحصار المضروب على إذاعة ام كلثوم، بأن يقوى إرسالها بحيث تصل إلى كل أركان الجمهورية ليروى عطش محبيها إلى الفن الرفيع، حيث ان إرسالها الآن لايصل إلا إلى حدود القاهرة الكبرى، او يزيد قليلاً.. وعلى سبيل المثال، فنحن في الإسكندرية لانستطيع سماعها فما بالك بمن هم ابعد؟..

اما حديثك عن الموسيقى الشرقية والغربية، والتفوق البادي في اشكال الموسيقى الغربية ودفاعك عن الاشكال الشرقية ومحاولتك التدليل على مافيها من جمال ومتعة.. فإني اريد ان اهديك دوراً قديماً لمحمد عثمان لفرقة الموسيقى العربية بقيادة الراحل عبدالحليم نويرة.. هذا الدور هو «كاذبني الهوى» بتوزيع عبدالحليم نويرة.. ابحث عنه واستمع إليه بصوت مجموعتي الرجال والنساء فليس فيه صوت منفرد.. استمع إليه، وانهل من النهر العذب المتدفق، وتامل في عظمة البناء وشموخ التناسق بين الاصوات، الذي ينقلك وانت في مكانك إلى معابد الاقصر باعمدتها العملاقة، المتراصة في شموخ يتحدى الزمن.. وستري، وستسمع الأصداء وهي تلفك من كل جانب وتسبح بك في بحار عميقة من الروعة والمتعة والانجذاب!.. وإذا كنت قد كتبت عن «رق الحبيب» مقالين، فالله يعلم كم ستكتب عن «كاذبني الهوى» لتباهي به اعظم سيمفونيات بيتهوفن، وموزارت، وشتراوس، وغيرهم.

شكراً لك، ودمت مدافعاً عن الفن الأصيل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبداللطيف السيد راشد

بالمعاش - ١٧ شارع احمد صديق - سيدي جابر - الإسكندرية

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية